شماتة وإشفاق

قال وفي عينيه مزيج من شماتة وإشفاق: لست ادري إذا ما كان عليّ ان افرح او احزن إزاء هذا السيناريو الفضيحة بشان قضية الباخرة تامبا. أأفرح لبراءة الاباء المستضعفين من تهمة رمي ابنائهم في البحر؟! . أأفرح لان الحقيقة التي سطعت مؤخرا اثبتت صدق حدسي وسلامة غريزتي؟! ! . . . أأفرح لان استهجاني يوم قام ذاك الادعاء كان في محله, أم احزن لان هذا البلد الذي ظننته تعويضا عن كل ما مورس علي من غش وخداع سياسي في موطني الاول لا يختلف عنه من حيث الجوهر بكثير ؟ ! . . أأحزن لان هذه الفضيحة سلبت مني راحة البال وستجعلني من الان وصاعدا لا أثق بما أسمع ولا أصدق اية ادعاءات ووعود؟! ! . . . أأحزن لانني اكتشفت ان الفساد والتزييف طبيعة كامنة في بني البشر قادر على اختراق اعتى حصون الديمقراطية؟! .

في بلادنا الام يضحكون علينا على المكشوف. يزورون تحت سمعنا وبصرنا ونعرف نتائج الانتخابات قبل ان نخوضها. نتألم بصمت او نهرب الى حيث لا عين ترى ولا قلب يوجع, أما هنا فقد زوروا بطريقة اكثر بشاعة. تلاعبوا بعواطفنا وهواجسنا. غسلوا دماغنا بمراوغة ما بعدها مراوغة وسخروا لمآربهم انبل المشاعر الانسانية

إن حزني ما بعده حزن. فالديمقراطية والنزاهة التي ظننت نفسي أرفل بها ما هي إلا قشرة خارجية تخفي في جوفها مساوئ اين منها مساوئ العالمثالثية . صحيح انني انا الذي اختار ويدي هي التي توقع وعقلي هو الذي ينتقي ويقرر إلا انني ليس اكثر من اداة فقط. هم انتخبوا عني واستعملوا يدي وقلمي بعد ان مارسوا عليّ حربا نفسية غسلت دماغي فذهبت الى صندوق الاقتراع بارادة مخدرة واخترت ما شاؤوا هم لي ان اختار. بماذا اختلف انا في الجوهر عن الناخب باي من الدول التي اتباهى عليها بديموقراطتي

قلت: انت متشائم تعمل من الحبة قبة
قال: بل القبة تبدا من حبة
قلت: ماذا لو ان شرفاء هذا البلد وديمقراطيوه الحقيقيين عملوا على جبر ما انكسر, واعادوا الاعتبار الى اولئك الذين اتهموا زورا وعوضوا عن طعنهم بانسانيتهم باعتذار يعيد لهم كرامتهم
قال : كما اعتذروا للابوريجينيين! ! . . . *
قلت: ليس ما يحصل إلا طفرة عابرة سببتها فوبيا الخوف من المختلف القادم من المجهول وهي لا بد ان تزول عندما يخف وهج هذه العنصرية التي تلفحنا منذ ما يقارب النصف عام. شجعني صمته فاردفت: إنه لا يزال في ضميري جذوة ايمان بهذا البلد وانسانيته, وما زلت اتوقع متفائلة من يقوم برد الاعتبار الى ديموقراطيته المسفوحة.
تنهد تنهيدة عميقة كانت ردا بليغا على سذاجتي السياسية

---

* هو اعتذار يطالب به الابوريجينيون الدولة الاسترالية تعويضا عما الحق بهم من ضرر نتيجة تبني حكومات استراليا البيضاء سياسة نزع الاطفال من اهلهم وبيئتهم لتسهيل اندماجهم بالمجتمع الابيض. والقضية لا تزال موضع جدال

نجمه
2002/ 2 / 27

ادب القرود

فجأة تأدب الخطاب السياسي الاميركي . خلع عنه حلته الهوليودية , غازل على حياء المملكة العربية السعودية بعد شهورمن الجفاء. عاد زيني يحي مهمته, تراجع عن حرده وتراجع معه ارييل شارون عن شرطه ∀الامن لسبعة ايام قبل بدء اية مفاوضات∀. بدأنا نسمع انه قد يسمح لياسر عرفات بحضور القمة العربية. تحركت حمية ديك تشني وزار دول المنطقة واحدة واحدة, وسمحت أميركا لمجلس الامن ان يقول كلمة خجولة عن وجوب قيام دولة فلسطينية مستقلة. كل هذا حدث وقد كان بدون ادنى شك للصمود المشرف والشجاع للمقاومة الفلسطينية دور كبير في هذا التغيير

تكهن السياسيون والمحللون الصحفيون عن المهمة الحقيقية لدك تشيني. قال معظمهم انه آت ليفرض مباركة عربية لضرب العراق. وقال سياسي لبناني كبيرممن نجل ونحترم انه آت ليقايض: ∀اعطونا صدام نعطيكم ياسر عرفات∀. ألا ان احدا, على حد علمي المتواضع, لم يقف, في خضم هذه الهيجان الشرق اوسطي, محللا لما يجري في افغانستان. لم يربط ايّ من المنظرين السياسيين الذين يملؤون شاشات ∀الجزيرة∀ و ∀إل بي سي∀ مثلا, بين الصدمة التي اصيب بها اكبر جيش في العالم على ايدي قلة من بقايا القاعدة وبين هذا الادب الاميركي المفاجئ. بضعة افراد في الكهوف تطاولوا على الهيبة الامريكية التي بقى إعلامها لاشهر ستة يباهي بانتصاراته عليها. فجأة وبعد مقتل تسعة من جنودها احست اميركا ان القاعدة وطالبان لم ينتهيا بعد, لذا فانها لا تستطيع ان تقفل هذا الملف وتلتفت لغيره إذ ان كل الملفات على اهميتها لا توجع كما يوجع ملف افغانستان.

ترى هل ان ما يبدو من بعض لين في المواقف الامريكية تجاه القضية الفلسطينية والعراق وايران هو من باب طاعة القرود التي يقول بها مثلنا الشعبي ∀طاعة بدون ادب∀؟!.

يبدو انه, حتى الدول الكبرى, تثمر فيها الطريقة المتبعة في تأديب القرود.

نجمه

91/3/2002

بالنيابة عن عبد الباسط عودة

اعرف ان العالم الذي يرى بعين واحدة سيعتبرني إرهابيا, سيقولون انني اعتديت على اناس يسكرون ويرقصون في فندق لا ذنب لهم بما اصاب شعبي على يد حكامه. أعرف انهم سينسبون إلي واليكم كل صفات الهمجية والبربرية وانهم قد يقتصون بصورة مباشرة من ابي وامي واختي وحبيبتي ولكنني اعلم ايضا انهم في قرارة انفسهم يكبرون تضحيتي ويقرون بشجاعة خياري الذي لم يكن لي خيارا سواه .

هم يريدون مني ان احاربهم بشروطهم التي تؤمن لهم الغلبة والتفوق, يريدون مني ان اكون الهندي الاحمرالذي يقاوم دبابات الميركافا وطائرات الاباشي بالقوس والنشاب. عندها يصيبني ما اصاب الهنود الحمر على ايدي الغزاة الامريكيين, مجرد بقايا فولكلورية شبه بائدة. إلا انني وبما خزنته ذاكرتي الجمعية من خبرات وتجارب مشابهة ارتايت ان اقاوم بالوسائل المتوفرة لدي, واكتشفت انني لا املك إلا هذا الجسد وبضع متفجرات متواضعة تأخذ لي بعض ثأري وثأر امتي الممتدة من المحيط الى الخليج

لقد صال عدوي وجال ولم يكتف بهدم البيوت وجرف البساتين وإذلال امي واختي وحبيبتي على حواجزه اليومية ولا على اسر رئيس سلطتي وتهكمه عليه, بل استخف وتطاول على اثنين وعشرين من رؤساء امتي وقياديها المجتمعين في بيروت, وقال مستهترا انه يريد حضور قمتهم في بيروت, بيروت التي دمرها وارتكب مجازره البشعة ضد ناسها. كيف اردّ له إهانات ه التي لا تحصى؟! . كيف اقول له لقد تجاوزت كل حدود وانا لا املك دبابة تواجه دبابته ولا مدفعا لائقا يتصدى لطائراته ولا حتى سياسيا جرئيا يرد على صلفه ؟ ! ! . . .

لماذا يكون حلالا عليه ان يستعمل السلاح الذي يراه مناسبا لمحاربتي فلا يكون ارهابيا, فيما اكونه انا إذا ما استعملت السلاح الوحيد المتوفر لدي . سلاح اكثر بدائية من اصغر اسلحته . كنت اتمنى لو امتلك قدرا بسيطا من تكنولوجيته لكنت وفرت على ابنتي ذل اليتم ووالدتي مرارة الثكل وحبيبتي وحشة الليالي الباردة. إلا انني والحال على ما هي عليه فليس علي إلا ان ألجأ الى هذا الجسد الضعيف, افجره باجساد اقل ما يمكن ان يقال فيها ان ما يؤذيها يؤذيه.

ليقولوا ما شاء لهم القول: ليتهدد ويتوعد جزار شعبي الذي لم يُبق على ما يمكن ان يهدد به. ليزمجر رئيس اكبر دولة في العالم ويضعني على لائحته السوداء. ليستنكر, مجاملا, رئيس سلطتي الاسير في غرفة نومه. لينعتوني بما طاب لهم من نعوت, كل هذا لا يهم: فانا سأبقى على قناعتي بان ما اقوم به هو فعل ايمان وقداسة يوافقني عليه كل من له ذرة ضمير إنساني في هذا العالم

نجمه

82/3/2002

حدثان برسم دعاة التوسل

في ذروة الانهماك بالاحداث المؤلمة التي تنوء تحتها فلسطيننا بارضها وشعبها ورئيسها تخبو بعض الاحداث الصغيرة في حجمها الكبيرة بمعانيها ودلالاتها. حدثان استوقفاني هذا الاسبوع رغم انشغال القلب والفكر والخيال بما يجري في رام الله وبيت لحم ونابلس الصامدات بوجه قدرهن

الحدث الاول هو قيام وزير خارجية العدو شمعون بيريس بارسال رسالة الى كوفي أنان يشكو من اعتداءات حزب الله على مستوطناته. اهمية الحدث هو انه لاول مرة في عمر صراعنا مع تلك المسماة ∀إسرائيل∀ تقوم بشكوى الى الامم المتحدة التي لا يلجا اليها إلا الضعفاء امثالنا. ورغم ان الامر في عرفنا ما هو إلا عهر سياسي واخلاقي إلا ان له دلالة تبرئ سقمنا. دلالة تقول لنا أنه يكفي هذه الامة ان تقوم منها قلة قليلة مؤمنة بحقها ومصرة على اخذه حتى يتسنى لنا تغيير المعادلات التي ظننا ورددنا لعهود انها عصية على التغيير. ولتقول ايضا, لاولئك الذي نصحونا∀مخلصين∀ بالتوسل لاميركا كحل وحيد للخروج من ماساتنا, ان حلهم ليس جبانا فقط بل باطل, ورؤيتهم مضللة كي لا نقول شيطانية.

الحدث الثاني هو طلب السفير الاميركي في مؤتمر طلابي في البحرين بالوقوف دقيقة صمت على ارواح الاسرائليين. هذه الصلافة الامريكية ليست بالامر الجديد علينا, ولكن الجديد فيها هو زمانها ومكانها. ان تجيء في مؤتمر شبابي, المؤتمرون فيه في زهوة عمر العنفوان والاعتداد بالكرامة الوطنية , وفي وقت يداس فيه هذا العنفوان وتسحق هذه الكرامة في رام الله بعنجهية سافرة فهذا والله بصقة في وجه البحرين وميلكها وطلابه. لو ان الطلب قام في مكان غير هذا المكان وفي ظروف غير هذه الظروف لكان قدر له من يبحث له عن اسباب تخفيفية, أما ان يأتي في هذا الوقت بالذات فانه حقا لقمة الاستخفاف بمشاعر شباب البحرين ومصداقية انتمائهم. لو كان في ضمير السفير المحترم ذرة احترام ولو ثقل حبة الخردل للبحرين ومليكه وطلابه لما كان بدر منه ما بدر. لو ان امرا كهذا حصل في اي بلد في العالم لكان الرد عليه اقله طرد ذاك السفير. ولكن ما العمل ونحن في زمن الانسحاق الذي يدعو فيه بعض امراء بلادنا الى التوسل لاميركا لتهبنا بعض حقنا؟! . .

لقد قام الطلاب البحرينيون بما ملكت ايمانهم, وردوا على صفاقة السفير ∀المحترم∀ بالبقاء جلوسا رافضين الوقوف صمتا على ارواح الاسرائيليين فلم يزد عدد من لبوا على عشرين طالبا هم اصلا من طلاب الجامعة الامريكية. ثم ان مؤتمرهم رفض قبول المنحة المالية التي كان تقدم بها سعادة السفير. وهم بردهم هذا نبهوا السفير وبلاده لما قد يكون غفل عنه, قالوا له: إن طلاب البحرين ليسوا على دين مليكهم , وان ما تملكه ايمانهم اليوم قد يمسي في مرة قادمة اكثر من مجرد التمنع.

نجمه
6/4/2002

رسالة المالج

أن يزور الرئيس الفلسطيني في الدقائق الاولى من فك أسره قبور الشهداء ويقرا الفاتحة على ارواحهم الطاهرة, امر طبيعي ومتوقع ومفهوم. ان يخص بالزيارة بعد ذلك مركز خليل السكاكيني الثقافي ويتوقف عند مقر الشاعر محمود درويش ومكاتب مجلة الكرمل ففي الامر رسالة واضحة لا تخفى على من كان له حد ادنى من الثقافة والوعي السياسي والاجتماعي. ان يقول ما قاله في همجية شارون وفي بطولات وصمود رام الله وجنين وغيرهما من المدن والقرى الاخرى, امر لم يفاجئ اي منا وان استهجنه الاخرون وانزعجوا منه. ان يستصرخ ضمير العالم بغضب, لا برجاء, لما يحصل في بيت لحم فهذا اقل ما نتوقعه منه. فالرئيس مهما تعرض له من ضغوط لا يستطيع ان يكون اقل صمودا من اطفال شعبه وشيوخه ونسائه

أما ان تكون وقفته الثالثة امام المالج, يدوّره بهمة وعزم, يمسد الاسمنت لسد جسد الجدار الذي مزقته قذائفهم الحاقدة ففي الامر رسالة ربما كانت غير متوقعة من رئيس خارج لتوه من اسر استمر ما يقارب الخمسة اشهر. رسالة معناها, ان هذا المحاصر الاسير, وهو في اشد ايام ضعفه كان يفكر في البناء ورأب ما تهدم. إنها رسالة الاصرار على تخطي المحنة والقول للعدو والصديق اننا, منذ هذه اللحظة, وقبل ان تجف دماء شهدائنا قادرون على فعل القيامة المجيد. إنها رسالة موجهة بالدرجة الاولى الى عنجهية شارون لتقول له ان كل ما قمت به من جرائم هدم وقتل قصد التيئيس لم يات حصده, وان كل ما اصابنا من خسارات وسحق وتفكيك لم يوهن عزيمتنا, فها ان يدنا التي عجزت عن شلها ما زالت تمتد قوية بالمالج, تسد كل ثغرة تفحتها في مؤسساتنا واجسادنا.
لا ليست اليد الممدودة بالمالج مجرد حركة مسرحية كما قد يتبادر لذهن بعضهم, إنها في الوقت الذي اتت به وفي الظروف التي سبقتها رسالة عميقة عميقة في معانيها اقل ما يمكن ان يقال فيها انها تأكيد على ما قاله الشاعر الفلسطيني قبل ثلاثين عاما:

هنا على صدوركم باقون كالجدار
نجوع. . . نعرى. . . نتحدى
ننشد الاشعار
ونصنع الاطفال . . . جيلا ثائرا . . . وراء جيل
نأكل التراب إن جعنا . . . ولا نرحل
وبالدم الزكي لا نبخل. . .لا نبخل. . . لا نبخل
هنا. . لنا ماض. . وحاضر. . . ومستقبل. . .

نجمه
3/5/2002

إنه عيد الام

ماذا لو ان الذين عملوا جاهدين على إقامة عيد للام رأوا كيف آلت اليه الحال بالنسبة لهذا اليوم؟ ماذا لو رأوا كيف افرغ هذا العيد من محتواه الفعلي واقتصر على جانبه التجاري وعبارات المجاملة المبالغ فيها والزائفة في كثير من الاحيان؟

كلنا في عيد الام نهرع الى المحلات التجارية التي عملت لاسابيع واسابيع للتهليل للمناسبة والاستفادة منها اقصى ما يمكنها ذلك. كلنا نهرع الى هدية نتوخّى بها تعويضا عن قصور في عاطفتنا, ربما, أو مجاراة لركب فرض مشيئته علينا.

الامومة هذه الغريزة البكر التي وضعتها الطبيعة في صدر الانثى من انسان وحيوان وطير هي في صميمها عاطفة تلقائية لا تتوقع إزاءها صاحبتها اي تعويض او مكافاة او عرفان بجميل. هي كشذى الزهر وثمر الشجر وعسل النحل لا تنتظر مقابلا, إلا ان المنتفعين من المناسبة حولوها الى سوق تجاري تتنافس فيه محلات الالبسة والعطورات والزهور والاندية والمطاعم على ∀تناتش∀ المحتفلين بامهاتهم, وهو ايضا يوم وجد به الاعلاميون مادة يملؤون بها خواء برامجهم بكيل من المدائح الطنانة المسطحة العاطفة.

لماذا لا يكون عيد الام يوم تقييم لعلاقاتنا العائلية فنعيد, نحن الامهات, محاسبة انفسنا على ما فعلناه بهذه الهبة المميزة التي منحتنا اياها الطبيعة؟ لماذ لا نقف ونسائل انفسنا اين اصبنا واين اخطأنا في مسيرتنا الامومية ؟ الا نقترف في كثير من الاحيان من حيث لا ندري الكثير من الاخطاء بحق ابنائنا؟ كم من ام عكرت صفو حياة ابنها برفضها لشريكته لا لذنب بل لانها ليست على صورتها ومثالها! وكم من ام افسدت باموتها الزائدة شخصية ابنها فصنعت منه الاتكالي والاناني الذي لا يرى من الدنيا إلا ذاته ومصالحه او انشأت من خلال معاملتها التي تفاضل بين الابن والابنة جيلا من المتحجرين المؤمنين في انهم من جنس ارقى وارفع مكانة من الانثى! كم من ام استغلت تلك العلاقة النبيلة لتأليب ابنائهاعلى والدهم في نزاع شخصي يقوم بينهما! ألا تستحق الواحدة منا في عيدها هزة تستفيق بها من جهلها بدل ان تغدق عليها عبارات المجاملة الخادعة فقط لدواعي المناسبة في حين ان القلوب تمتلئ بعكس ما تقول الالسن؟ هل من احد يقول للام المتملكة كوني اما وكفى. اكتفي من الامومة بغريزتها البكر لا تلك التي تلاحق وتقيد وتمنن؟ او يقول للام المهيمنة لا ترهقيهم بعطاءاتك المبالغ فيها ولا تكبليهم بجميل يلاحقهم كالكابوس؟ هل من قائل لها كوني اما ينتهي دورها على اعتاب النضوج, إقبليهم كما هم باخطائهم ومواهبهم, لا تتملقي الناجح والموهوب منهم وتتجاهلي الفاشل الذي حرمته الحياة موهبة وحظا. تقبلي بشجاعة ملاحظاتهم, ولا تلعني حظك لانهم ليسوا كما تتمنين فكثيرا مما بهم هو مسؤوليتك انت اما تربية وإما إرثا جينيا

اتمنى في عيد الام هذا وقفة حساب ومراجعة ضمير شجاعة لكل ما نشأنا عليه من عادات سيئة, اقلها, الانجرار الاعمى وراء هذا الاستهلاك العبثي الذي انحرفنا به عن معاني عيد الام الحقيقة

نجمه

11/5/2002

حالة فولكلورية

في فلكلورية رحبانية خفيفة الدم شخصية طريفة اسمها راجح. وراجح لمن فاته التعرف عليه, شخصية وهمية ابتدعها مختار قرية وادعة ونسب لها اعمال الشغب والتخريب فيما نسب الى نفسه مهمة التصدي لتلك الشخصية ودفع شرها عن القرية وناسها. إلا ان حكايات المختار الوهمية أثارت بعض الخبثاء فاستغلوا الحكاية وقاموا باعمال اعتداء وسرقة وتخريب حقيقية وبذلك ∀صارت الكذبة زلمة∀ (رجل)

تجيء حكاية راجح الى الذاكرة ونحن نتابع الحالة السياسية في ساحتنا الاسترالية. استراليا هذا البلد الامن البعيد عن شرور العالم ومظالمه ارتأى اولي الامر فيه ان يكون لهم, كما لغيرهم من الدول العظمى باطماعها, عدوا, فركبوا الموجة السائدة ليبرهنوا لشعبهم انهم حماته والمدافعين عنه من راجح متوهم هو الارهاب. وباسم هذا ال∀راجح∀ مدوا يدهم الى فخر استراليا وميزتها الرئيسية المتمثلة باحترام الحرية الفردية واعلاء القيم الانسانية فوق كل اعتبار. وباسم هذ الخوف بررت سياسات ما كان لها ان تبرر, فجاءت الميزانية العامة للدولة منحازة لصالح الجيش والدفاع على حساب المرضى والمعوقين والمسنين. وباسم هذا العدو المتوهم تبرر تلك المعاملة غير الانسانية لطالبي الجوء. وباسمه ايضا منحت دوائر الامن العام الاستخباراتية صلاحيات انتهاك الحرية الفردية, فصار لها حق التنصت والتعقب والتوقيف لمجرد الاشتباه او حتى ادعائه. . . قفزة أخرى وتمسي استراليا واحدة من البلدان التي هرب الكثيرون منا منها وفضلوها على اوطانهم الاصلية. وليس من المستبعد ان تمتد يد الخائفين من ∀راجح∀ الى العقول والاقلام فيصيبنا ما يصيب اهلنا واخواننا في اوطاننا الام من كم للافواه وطمس للعقول وإكناز للسجون.

كل حيادي يعلم ان الكثير مما يسمى بالاعمال الارهابية هو في حقيقته رد فعل او عملية انتقام او دفاع عن النفس من صانع الارهاب على متلقيه. واستراليا, حتى حينه, لم تستعد ايا من الدول: فهي لم تفرض حصارا على احد ولا طمعت بثروات اي بلد, ولا تأيدياتها الخجولة التي تعتبر من باب رفع العتب, ساهمت في ترجيح كفة ميزان على اخرى في صراع ما من صراعات العالم الثالث. وإذا ما استثنينا تلك القوة الرمزية التي ارسلت مؤخرا الى افغانستان, فإن استراليا تكون كما قال فيها شاعرها الشعبي لندسي غوردن: ∀البلد المثالي الخالي من جرائم وذنوب اوروبا∀. في حالة كهذه لماذا الاصرار على خلق راجح الكذبة؟ الا يخاف مسؤولونا, من خلال استعدائهم راجح لغرض ايهامنا انهم يحموننا ∀من مجهول علينا جايي∀, ان تصير الكذبة ∀زلمه∀؟

نجمه

42/5/2002

ولنا ايضا ∀بولين هانسون∀نا

تنادت الجالية العربية بمعظم رموزها الثقافية والاجتماعية لحضور ندوة د. نوال سعداوي في باراماتا تاون هول. والندوة, لمن فاته العلم بها, هي حلقة من ضمن برنامج نظمه المهرجان الاسترالي العام للكتاب والذي تنزل د. سعداوي وزوجها د. شريف حتاته ضيفين عليه. تساءلت في سريّ: ماذا ستقول الدكتورة للمرأة في استراليا؟ إذ ان ما تعالجه من قضايا امور تخطتهاالمرأة العربية عندنا: فلا مسألة ختان ولا حجاب مفروض ولا مسألة ∀وللمراة نصف حصة الرجل∀ ولا تعدد زوجات ولا عصمة بيد رجل. كما انه ليس في بال الضيفة الكريمة الخوض فيما يخوض به دعاة حقوق المرأة الاوروبية كمسألة تشريع العلاقة المثلية مثلا. إلا ان د. سعداوي كان لها من عمق تجربتها ما مكنها ان تشد انتباه جمهورها بالتوجه نحو القضية النسوية من وجهها الاشمل واعية خصوصية المرأة العربية في استراليا.

إستلهت الدكتورة حديثها بالقول ان الصراع هو في جوهره صراع طبقي واقتصادي وبينت ان الاديان جميعهاغبنت المرأة حقها وإن الاسلام, عكس ما يعتقد الكثيرون اكثر إنصافا لمرأة من الديانات الاخرى. ثم بينت ان كل ما هو قائم من حروب وحصارات سواء في افغانستان او العراق او فلسطين إنما هي قضايا نسوية, على اعتبار ان المرأة هي المتضرر الرئيسي في هذه الحالات . ثم تكلم د. حتاته فتناول عمق العلاقة بين المرأة والرجل ودعا الى الارتقاء بها من علاقة ريس ومرؤوس الى علاقة عضوية يكمل واحدهما الاخر وبين ان الموضوع صعب وشائك لان الرجل الشرقي الذي تربى على امتيازات معينة يصعب عليه التخلي عنها بسهولة لذا فإن مهمة التغيير إنما تقع على عاتق المرأة.

كادت الندوة ان تكون مثالية فقد شد الضيفان مستمعيهما بلباقة ومنطقية طرحما, رغم ان الشر الذي لابد منه (مسألة الترجمة) نغص انسيابيتها. قلت كادت, لان مثاليتها اعترضها, عند بدء الحوار, اقتحام احد الحضور الجلسة وبدأ بمهاجمة الدكتورة فاتهمها بمملاءة الاصوليين , وشتم العرب اجمعين لانهم اضطهدوا وقتلوا ووشردوا أهل العراق. ثم عدد بركات اميركا وعطاءاتها, فخلص الى انه لولا مساعداتها الاقتصادية لمصر لمات المصريون جوعا. هنا خرجت الدكتورة عن طورها وهددت بمغادرة القاعة إذا ما استمر النقاش على هذه الدرجة من السوقية والوقاحة

إننا نعتذر للدكتورة نوال عن هذا الصوت العنصري المتعصب الضيق الافق ونقول لها اننا باغلبيتنا نعرف ان ما قيل هو تجن على الاسلام والعرب والمصريين. فالمتكلم ∀الكريم∀ جاهل بادنى تعاليم الاسلام إذ انه استشهد بمقولة ∀النساء ناقصات عقل ودين∀ على انها دستور اسلامي. وأقل مطلع يعلم ان هذه المقولة لم ترد في حديث نبويّ شريف ولا في نص قرآنيّ كريم بل قيلت في حادثة معينة لا علاقة لها بمبادئ الاسلام, قيلت في معرض الخلاف الذي جرى بين الامام علي رضي الله عنه وبين عائشة أم المؤمنين. كما ان اكثريتنا تؤمن ان ما طال غير المسلمين وغير العرب في العراق طال مسلمين وعرب بنفس المكيال . فمن ضرب حلبجة لم يوفر البصرة بل إنه لم يوفرافراد اسرته الاقربين, اصهرته واحفاده. وان السجون والمقابر في الوطن العربي من المحيط الى الخليج تعج بابرياء وجماجم المسلمين والعرب. أما عن مثّة الامريكان على المصريين فكلنا نعرف من كان وراء خراب بيوت الكثيرين من المصريين بعد حرب الخليج. وكلنا نعرف من يحتل الكويت ومن يسرق ∀على عينك يا تاجر∀ بترول العرب ويتبرع بسخاء للاسرائليين

نأمل ان لا تنغص هذه الافتراءة التافهة زيارة الدكتورة سعداوي وزوجها د. حتاته, وان لا تأخذنا بجريرة أقلية أغلقت قلوبها على عنصرية متقوقعة ضيقة الافق فإن لكل شعب بولين هانسون(ه)

نجمه

1/6/2002

أبلغ الكلام

في هذا الزمن المهزوم تفقد الكلمة قيمتها مهما كانت جليلة وصادقة, فما الكلام تجاه ما نعيش من مآسٍ إلا ثرثرة وإشفاق زائفين, وقد عودنا بعض ادبائنا المبدعين على الخلود الى الصمت عندما تحيق بالامة فاجعة يرون بها تحطيما لامالهم. فقد صمت خليل حاوي بعد انهيار الوحدة العربية عام 1959 وصمت ثانية بعد هزيمة حزيران 67 , ومثله فعل سعدالله ونوس. إلا ان آخر الصامتين احتجاجا على مانحن فيه من عجز هو الشاعر محمد الماغوط. صمت الاديب الذي اذاب عقله وقلبه على الورق فكان صمته ابلغ كلام

صمت محمد الماغوط واختلفنا نحن مريديه وانصاره في تفسير صمته. أهو صمت اعتكاف او احتجاج او يأس؟ إلا ان التسمية لا تهم, المهم هو انه كان لاديبنا موقف اعتبره البعض اقوى من الرصاص. نتساءل لماذا لا يكون لسياسينا موقف كموقف الماغوط. ماذا لو امتنع رؤساء بلادنا العربية جميعاعن الكلام دفعة واحدة فلا مبادرات ولا لقاءات لمبعوث من هنا وهناك ولا مقابلات مع هذا الصحفي او ذاك, ولا مشاريع ضغط على هذه الجهة أو تلك ولا تصريحات تحريم وتحليل على العواهن! ! . . . حتى ولو ان جلالته وفخامته وسيادته عز عليهم مثل هذا الامر فلماذا لا ينفذه على الاقل الرئيس الذي قضى عمره زاهدا بالقصور والجواري وربطات العنق؟ رئيس نذر نفسه منذ اسابيع قليلة للشهادة. ترى هل أن الشهادة اهون من الصمت! ! . . .

يبدو لنا, نحن المشاهدين عن بعد, ان مسائيل سلطتنا الفلسطينية على اختلاف درجاتهم فقدوا كاريزما النطق. نحس ان ما ترسمه الشاشة على صفحاتها وجوها شمعية وما تنطق به الشفاه خارج من قلوب معدنية جوفاء. لست ادري إذا كان ما يعتريني يعتريك انت ايضا ايها القارئ العزيز. هذا الكلام عن الاصلاحات واعادة بناء المؤسسات والانتخابات. هذا النعت للاستشهادي بالانتحاري. . . هل ينتابك إحساس ان ما تصغي اليه هو قيء وليس كلاما؟ هل تصيبك حالة غليان فتتمنى ان يبعث شمشون من التاريخ؟

ما نفع الكلام وكل ما فيه هو حوار طرشان. لماذا لا يعكتف رئيس سلطتنا عن حوار الطرشان هذا؟ ام ان في دمنا العربي جرثومة جينية متوارثة تستصعب التخلي عن وهج الحكم حتى ولو كان على هذه الدرجة من الهزالة؟ أصحيح ان هذا ما تتمناه المسماة اسرائيل؟ إن في هذا الادعاء إهانة لشعبنا لانه يصور ابا عمار وكانه الشوكة الوحيدة في حلقها والباقون نعاج. وكذبه لا يحتاج الى برهان.

اتساءل لماذا لا يصمت رئيس سلطتنا؟ أقله احتجاجا. أقله تسجيل موقف. بل لماذا لا يتنحى فتبقى صورته في قلوبنا وضمائرنا صورة الرمز الذي صرخ يوما شهيدا شهيدا فاقشعرت لصرخته الابدان واستجابت لها كل الشعوب العربية من المحيط الى الخليج

نجمه
8/6/2002

إنه زمن التوسل

يوم اطلق وزير الخارجية القطري نظريته الشهيرة القائلة نحن العرب لا نستطيع شيئا إزاء الفلسطينيين, وانه ليس لهم إلا التوسل لاميركا لحل مشكلتهم, قامت الدنيا على الرجل ولم تقعد, وتنادت الصحف على مختلف مشاربها تستنكر الدعوة وتستهجنها بما ما في ذلك صاحبة هذه الزاوية المتواضعة. ورغم ان الانتفاضة الباسلة وما اعقبها من غضبة صادقة في الشارع العربي جعلتنا نأمل الى حين ان الوزير كان مخطئا في تصوره, إلا ان الاحداث المتوالية تثبت لنا يوما بعد يوم ان زمن التوسل زاحف الينا وليس لنا لقضائه رد.

سلطتنا الوطنية تجتمع مع مبعوث المخابرات المركزية الامريكية الجنرال جورج تنت وتتسلل من وراء هذه الاجتماعات رائحة توسل قوية تزكم الانوف. توسل يجعل سياسيينا يصفون الشهيد بالانتحاري, ويزجون بالابطال المقاومين في سجون يشرف عليها بريطانيون وأمريكيّون. وحكامنا في هذه الدولة وتلك يتوسلون الرضى الاميركي بالتعهد بقمع روح التمرد والمقاومة الفلسطينيتين والعمل على تدجين السلاح الفلسطيني وجعله سلاحا ∀مؤدبا∀ يستأذن العدو قبل الخروج من غمده

لو ان الامر اقتصر على السياسيين لقلنا إنهم المفسدون في الارض منذ كان التاريخ , أو أن هذا هو حالنا ∀فالج لا تعالج∀. إلا ان الامر آخذ بالانسحاب على المثقفين والاعلاميين المطلوب منهم حسب فلسفة ∀ويلز∀ ∀ترميم تصدع الحياة الانسانية. . .∀ لقد انتهى زمن يخجل به المثقف او الاعلامي من لقاء هذا المسؤول الامريكي او ذاك, بل امست مثل هذه اللقاءات مصدر مباهاة يحرص اصحابها على تصديرها الصفحات الاولى من الصحف والدوريات العربية

يبدو ان رؤية وزيرنا المحترم كانت في مكانها, فقد راى من خلف ضباب الغضب الذي ماجت به البحرين والقاهرة وعمان وغيرها من العواصم ان زمن التوسل زاحف زحف الجراد يأكل كل أخضر في عقولنا وقلوبنا وضمائرنا

نجمه

51/6/2002

المطران الاحمر

قالوا عنه انه المطران الشيعي ثم قالوا بل هو المطران الفلسطيني واخيرا استقر رأيهم على انه المطران الاحمر. . . هو احمر لانه يؤمن بإن الدين عندما يستخدم لخدمة طبقة معينة ويقنع الفقير بالبقاء على فقره وللمحكوم ان يسلم لطاغوت حاكميه وينصرف عن امور دنياه ليقنع بما ستحققه له السماء من عدالة بعد هذه الحياة الفانية انما هو افيون شعوب. هو احمر لانه أنشاء ∀تيار المجتمع المدني∀ الذي سعى من ورائه الى ردم الهوة بين الطبقات والحفاظ على كرامة الفقراء. هو احمر لانه عمل على قيام مشاريع ثقافية وطبية وإسكانية تخفف بعض أعباء الحياة عن الاغلبية المسحوقة بلقمة العيش بغض النظر عن طائفتهم ومناطقيتهم وانتمائهم الايديولوجي. هو احمر لانه حارب المتاريس الطائفية ولانه دعا الى صلاة اسلامية مسيحية جامعة تؤمن باله واحد, يوحد ولا يفرق, يبني ولا يهدم. غفور رحيم, لا اله حرب وقتل ودمار. . . إذا كان كل الاحمر على هذا المنوال فما اجمله من احمر ! ! . .

هذا الرجل الثمانيني الذي خرج من ثوب الكهنوت التقليدي وعبر الطوائف والمناطق والطبقات وانتمى صراحة الى فئة الفقراء والمحرومين رايا وممارسة هدد مشروع الطائفيين فحاربوه بالتشهير اولا وبالعزل ثانية ثم بالاعتداء الجسدي مؤخرا.

يبرر من هم وراء الاعتداء الذي حصل على المطران حداد الاسبوع الماضي ان الرجل استفز مشاعر المؤمنين واساء الى الروح القُدُس وللسيدة العذراء. ولكن هل يبرر الاختلاف على العقائد الاعتداء بالضرب الوقح على رجل جاوز الثمانين أم ان المستفيدين من الخطاب الواحد والرؤية المتقوقعة استغلوها فرصة لضرب مشروع يهدد مصالحم؟ الم يقل السيد المسيح الذي باسمه ضربوه: لا تدينوا لئلا تدانوا؟! ألم يقل الى تلميذه بطرس: أردد سيفك الى غمده فمن أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ؟! ألم يقل عن الصليب: إغفر لهم يا ابتاه لانهم لا يدرون ماذا يفعلون؟!. أين هم من تعاليم سيدهم الذي يدّعون الدفاع عن معتقداته ؟ أم ان ما يدافعون عنه هو امتيازات ومصالح شخصية وآنية ؟
الجميل في امر هذا الثمانيني ان الصفعة لم ترهبه بل جعل منها مناسبة لترويج مشروعه, فقد صرح بعيد وقوع الاعتداء عليه مباشرة: أنا منزعج منذ البداية وكل اللذين اهتموا بقضيتي سجلت اسماءهم وساطالبهم بمشاركتي في المشاريع التي اقوم بها على صعيد الوطن ككل. هي مشاريع تشمل البيئة والصحة والتنمية الشاملة وهذه امور يتغنى بها المرشحون للنيابة وعندما يصبحون نوابا لا يحققون شيئا. بهذه الروح المتفائلة رد على الصفعة. وبصراحة واثقة أجاب المذيعة عندما سألته بتخابث, هل انك تجير الحادثة لمصلحة مشروعك . أجاب جازما نعم, نعم انا افعل .

أمر واحد يقلق في هذه المسالة وهو ما تردد عن أن مرجعا روحيا كبيرا وعد بان المطران حداد سيتوقف عن عرض طروحاته على شاشة ∀تيله لوميير∀, وان المطران وعد بالامتناع عن الكلام. تقلق هذه الكلمة ∀وعد∀ فمن ورائها رائحة ضغوط غير بريئة. نتمنى ان لا يطاول الوعد الذي قطعة صاحب ∀تيار المجتمع المدني∀ مشروعه هذا ويكون الامتناع عن الكلام فقط لا عن الافعال

نجمه
12/6/2002

قبل ان يتعمد بالشهادة

انهى صلاته وسلم. كانت رائحة قهوتها قد عبقت في المكان فملأته انتشاء. ارتشف اول رشفة من قهوته وقال فيما هو يهم بالجلوس: الله! . . . الله!. . . اغمض عينيه وسبح ربه على نعمه الكثيرة. جلس الى جانبها التصق بها اكثر مما في عادته ان يفعل. مر بيده فوق خصلات الشعر السوداء اللامعة فوق جبينها وأزاحها الى الوراء. كم يحب هذا الجبين العالي المملوء بالكبرياء. . . مرر يده فوق بطنها المنتفخ وتأمل عينيها الحالمتين وقال: تسميه نضال. مهما كان جنس المولود تسميه نضال.

ـ متى تعود سألت فيما هو يطبع قبلة فوق جبينها

ـ حسب التساهيل

حاذى الغرفة المجاورة ونادى دون ان يقرع الباب : ادعيلي يمّا

انطلقت مع ازيز الباب دعوات امه التي فتحت مسرعة تلف راسها بالمنديل الاسود: الله يرضى عليك يا حبيبي ويجعلك في كل خطوة سلامة. وحياتك يما لا تنسى ان تمر على الهلال تسال اذا كانوا جلبوا دوا الضغط.

حيا ∀ابو رباح∀ المقرفص عند عتبة بابه. طريف هذا الختيار, يرفض ان يغير القمباز. كل هذه السنين في المدن ولا يزال يصر على القمباز وسيكارة اللف. إصولي عتيق.

ماذا يفهمون دعاة التمدن من الاصولية؟ هم يعتبرونها عيب, تهمة, جريمة. منذ مدة قصيرة كانوايقولونها بفخر يعنون بها الطهر, النقاء, فم النبع قبل ان تلثمه الايدي والارجل والعيون, لله كيف يسوقون الكلام حسب غايتهم, وما اغبانا ننجرف في تسويقهم دون تفكير. اليوم يسوقون كلمة جديدة اسمها ∀شفافية∀. لم تعد تخلو جملة من هذه اللفظة ∀الشفافة∀. من استهدى على هذه اللفظة وكم سيطول عمرها قبل ان تمسي مثل غيرها عيبا او شتيمة؟! . ما لي ولهم. لهم قاموسهم ولي قاموسي. لهم طرقهم ولي طريقي. لهم ايمانهم ولي ايماني. لهم فلسطينهم ولي فلسطيني

كانت الشمس قد بدأت ترسل اشعتها خجولة شاحبة. احس دفئها يسري ناعما في عروقه ما اجمله من صباح لا يعكره إلا آثار دباباتهم وقصفهم الذي لا يزال يسد ازقة المخيم. تتسابق دجاجات عمته وضفة على نبش تربة عجفاء . زعماؤنا اللاهثين وراء المفاوضات كدجاجات عمتي وضفة. تربتهم خلت حتى من دودة صغيرة تتقاتل عليها عشرات المناقير. على كل غدا ييأسون ويعرفون ان الله حق

سيختلفون غدا على تسمية عمله: إستشهاد؟ فداء! انتحار! ! ارهاب! . . كله لا يهم انا لا افعل ما افعل لاجل قولهم ومباركتهم إنه إيماني وحدي وإن كره الظالمون. يبتسم فيما هو يقرا الشعارات التي شوهها القصف من جملة ما شوه. . . حتما سيقيمون له ماتما رمزيا. ليتهم لا يفعلون. لا لزوم لهذه المراسيم الوثنية. لا يريد لدمه ان يسيس. . . فكر بالمولود الذي سيجيء الى هذه الدنيا يتيما. وإن يكن ! ! . . . النبي صلى له عليه وسلم عاش يتيما حتى انه تغذى على حليب مرضعة. قد يهدمون هذا الخص المسمى بيتا. لن يزيد هدمه ولن ينقص على كل الهدم الذي مارسوه. . . المهم ان لا يتمكنوا من هدم النفوس . . .

تمنى لو كان اوفر حظا. لو انه ولد في زمان غير هذا الزمان. . . استغفر ربه: ∀الهم لا اعتراض على مشيئتك∀. قرا آية الكرسي اشاع الدعاء طمانينة هادئة في نفسه ومشى الى قدره بفرح لا يستطيعه إلا من منحه ربه نعمة الشهادة

نجمه

82/6/2002

بين يأس وتيئييس يلتمع أمل

تتسم الفضائيات العربية التي تصلنا سواء في برامجها الاخبارية او المقابلاتية بصبغة سوداوية قاتمة ترخي فوق عقولنا وقلوبنا غمامة من اليأس المهيض: فالاعلام عاجز والمثقفون غائبون او مغيبون, والمواطن العادي لاه بهمومه لا حول له ولا قوة والانظمة حدث ولا حرج. . . ونتساءل نحن البعيدين عن الحدث , لماذا توقفت اخبار المظاهرات المؤيدة والاعتصامات المحتجة والبيانات المطالبة والتبرعات الداعمة؟ واين رست تلك الاندفاعة الشعبية حملة المقاطعة للبضائع الامريكية والاسرائلية؟ هل خلت الساحة العربية من اي بارقة امل ام ان لهذه الفضائيات برنامج تيئيسي مرسوم يقصد جرنا الى اعتقادات معينة؟

تصر هذه الفضائيات في كل نشرة أخبار وحتى بين النشرة واختها على بث الصور الفجائعية عما يجري في فلسطين من احتلال واعادة احتلال وتوقيف وقتل وتجويع, ثم تروج لعدو قادر متفوق لا مجال لقهره. هذه هي الصورة التي يريدون لنا ان نراها. ولكننا كمشاهدين بسطاء نستشف صورة مغايرة نقرأها في وجه شارون الذي يبدو على حد تعبيرنا القروي ∀مثل دجاجة ملطوشة على راسها∀, وفي تعابير بوش غباوة مثلنا الشعبي: ∀نقول تيس يقول احلبوه∀. نقرأ في وجه الام التي تتلقى نبأ استشهاد ابنها بزغردة ان النصر والهزيمة ليس في الارقام الموجودة على ارض الواقع بل بعجز هذه الارقام من الوصول الى اهدافها الحقيقية. فنعلم ان العدو لم يصل الى هدفه رغم ما بذره من رعب وقتل وتجويع فهو لم يستطع إلغاء الكيان الفلسطيني: فشل في إخراجه من الجغرافيا الطبيعية كما فشل من قبل في اخراجه من الجغرافية البشرية.

لا, ليس الفلسطينيون ضحايا لا حول لهم, كما يراد لنا ان نراهم, بل هم المنتصرون الحقيقيون إذ انهم باصرارهم وضعوا عدوهم في مأزق حقيقي, فويله إن تراجع وويله ان استمر في حربه التي يختلق لها كل يوم اسما رنانا. فمن عملية (السور الواقي) الى عملية (الطريق الحازم) والحال على ما هي عليه, لم تتوقف الاعمال الاستشهادية ولا خف ايمان الناس بها بل ربما زاد, إذ اظهرت آخر استطلاعات الرأي ان 62 % من الفلسطينين لا يزالون يؤمنون بان العمل المقاوم هو اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو. وان كل ما يقوم به من قتل واسر وتجويع تمحي قيمته بمجرد حدوث عملية استشهادية واحدة

نحن نقرأ, رغم ما تبثه الفضائيات من تيئييس, ان هذا العدو يتخبط باحتلاله واستيطانه وان حربه وحصاره وتفوقه العسكري ليس دليل انتصار بل هو دليل هزيمة. إنها هزيمة استراجياته جميعها: استراتيجية الاستيطان والاحتلال والترانسفير وما لف لفه. ان الاحتلال مهزوم والاستيطان مهزوم والمسألة مسألة وقت, قد يقصر او يطول إلا انه آتٍ

نجمه

6/7/2002